

شَهْرُ الرَّمَاذِ

عفاف عايب

رواية

شهر الرماد

رواية

تأليف:

عفاف عايب

الكتاب: شهر الرماد

النوع: رواية

تأليف: عفاف عايب

تاريخ النشر: 20 فبراير 2021

التنسيق الداخلي والنشر الإلكتروني: مكتبة كتوباتي

www.kotobati.com

الفهرس:

4	إهداء :
5	مقدمة :
6	منتصف الليل
11	صباح خريفي
13	اليوم الثالث من شهر الرماد
15	اليوم الرابع الرمادي
17	خامس يوم من شهر الرماد
19	اليوم العشرون من شهر الرماد
21	اليوم الواحد و العشرون من شهر الرماد
23	اليوم الثاني و العشرون من شهر الرماد
24	الصباح الأخير

إهداء :

لكل بنت حول العالم ، وجودك معنى للحياة ، إدراكك
لنفسك سيقضي على الخوف المتمركز فيك ، عيشي المشاكل
التي تتعرض لك و إستمتعي في القضاء عليها حتى تنبهرين بنفسك
تفني في إبراز ملامح إبتسامتك ، إصنعي سلالم السعادة بقدرتك
سينجلي كل رماد في حياتك .

مقدمة :

من يمزج بقايا الرماد بعد أن تحرم الحياة قلب من فرحة حب يتمناه يبقى فيه الأمل الوحيد معلقا بذلك الزمن الذي يكون فيه الجميع من أصحاب السعادة ، تفرغ الصدفة و يملأها الضجر و الملل الدامع لكن إذا نهض القلب من رماده و تكون من دماء جروحه شاهرا جمر عيونه سيخرج هيكله بسلام .

روايتي شهر الرماد تروي أحداث قصة فتاة عاشت حياة الرماد لمدة شهر بعد أن حرمت من الإزهار ، لكن في الأخير تتغلب على العبوس و المآسي الكثيفة و تنقذ قلبها من أطنان الملل .

منتصف الليل

ما بعد منتصف الليل ، إرتدت غرفتها الصغيرة باحثة عن مكان تمكث فيه مع قطعها السلخنة حتى لا يلتهمها أحد ، تحاصر ضجيجها الداخلي ، وكانت نظرة التعب تكسوها ، تنهدت بهدوء قائلتا بصوت مخنوق :

هل يعقل أن ينقطع الشغف من نفس الحياة ؟ و الرماد يحتلها ؟
فحتى الحب الذي ندعو أنه أساس البشرية ها هو يتصدع و يتلون بالرمادي ، لكنني أعرف أن تلك البائسة الحزينة التي كانت تشير لي من بعيد بأن نهايتها مبتذلة مع الرجل الذي كنت أعرف صورته تماما ، يمتلك الخيال البالي ، يتخيل البشر بنمط واحد ، ماكر مليء بالسواد .

و أنت لطالما كنت كثير الصمت يا إيلي ، كثيرة الكتابة ، ألم يحن بعد الموعد الدموي لفترة الإنطفاء ؟ كان من الممكن أن تلجئي لي في كل ليلة أرق تمرين بها لأخبرك أنه لا داعي للخوف فكل شيء رمادي سيلون ، كفاكي ركضا في غابة الحب بسرعة مذهلة ، تنزفنب دماء من لب فؤادك ، تحولين بياض جسدك إلى رشوخ تنزف رمادا بات الأسود يتدحرج أسفل عينيك ينافس إنبساط إبتسامتك ، أصبحتي وحيدة بين أبيض يغطي جسدك و رمادي يسيطر على الساحات .

لا تصمتي يا إيلي ، يكفي ملامحك الصامتة ، ألقى نظرة على داخلك
ستجدينه ممتلئاً بالتحف المكسورة ، لم تكن حياتك وردية في كب
الأحوال لكن كانت تضيف للأشياء من حولها طابع من الرقة .
أ تسمعيني يا إيلي ؟ أين أنت ؟ فأنا أرى سماؤك إرتدت الرمادي
القاتم و ذهب أزرقها .

تجلس عهد على أريكتها مواصلة تفكيرها ماذا سيحدث لصديقتها
إيلي بعد أن إحتل الرمادي حياتها ؟. يرن هاتفها فتشت أفكارها :
من المتصل ! إيلي تتصل ؟

عهد : مرحبا إيلي

إيلي : أهلا عهد

عهد : كيف حالك صديقتي ؟

إيلي : لست بخير جوفي يضيق في صدري ، منظر القبور المصطفة
جنباً إلى جنب داخل قلبي يزيد من ضيق تلك الفجوة بداخلي .

تحاول عهد تلطيف الطقس على قلب إيلي :

عهد : أين تلك الطفلة الصغيرة في قلبك ؟ الطفلة المتصالحة مع الحياة
و مع أي تشوه أصابها ، صانعة الأحلام .

ترد إيلي مقاطعة عهد :

إيلي : إنه شتاء قوي على بلاد الحب قد دخل مداري ، وصل في الموعد
المحدد ، مع بداية يومي يلون سمائي بالرمادي الداكن ، ضوضاء

بهدهوء ، قلب متجرد من الحياة و يوم بلا هدف ، هل من مساعد يا عهد؟

تتههد عهد بصوت مخنوق لا تريد أن تكون شاهدة على مجزرة الأحلام
التي تقام فوق صدر صديقتها محاولة التخفيف عنها :

عهد : لم يحدث أن أصابني ضرر من قبل يا إيلي لكن أشعر بضررك
و كأنه في قلبي و معا ستتغلب عليه ، في البداية سيكون الظلام و بعدها
يلد النور ، سيكون لديك قلبان : الأول أخذ معه و الثاني عليك خلقه من
جديد.

إما ان تعودي مختلفة تماما أو لا تعودي مطلقا .

تقاطعها إيلي بقولها :

إيلي : إنني تعيسة يا صديقتي مغلولة و أشعر بالقرف لا أريد التملل
حتى لو كانت خيوط الموت تلتف حول روحي ، تسرقني من ملجئي
إلى شوارع الرماد المخيف و تفتك ما بي من قوة .

تستمع عهد لصديقتها دون مقاطعتها إلى بصوت تنفسها المخنوق .

تواصل إيلي حديثها :

لقد هشمت الثقة في داخلي ، أنسجة عقلي تشابكت لتذرف شوق قلبي
و ما إن تساقطت أوراقه تعصف بها الرياح الشديدة ، أشعر أنني هنا
و هناك و لست أنا ، أفتقر للأمل .

تجيب عهد : لا تقولي هذا يا إيلي أنت شجاعة ، كنت وفيه حتى النهاية
و ربما أجمل ما فيك هو وفائك ، أزهرني تغليبي على الرمادي العبوس

فهو مجرد عابِل سبيل في حياتك عديني بذلك .

تصمت إيلي قليلا ثم تخبر صديقتها بأنها ستحاول قدر المستطاع تغيير حياتها ، تقطع الإتصال بعد توديع عهد ذاهبة إلى زنانة أفكارها السوداء تستلقي على سريرها ترفع رأسها نحو السقف فجأة تسمع صوتا غريبا يكلمها :

الحياة : مرحبا ...

إيلي : مرحبا من هناك ؟

الحياة : انا الحياة يا إيلي ، تضحكينني عندما تتكلمين عن ظلمي لكي و كأنك بريئة

تخاطب إيلي الحياة : مهلا سيدتي ، أين العدالة ؟

لقد كنت أتعامل مع الجميع بإنسانية ، عاطفة ، لطف ، حنية ، و رقة و أخذتني مني حب شخص واحد

وبينما تواصل إيلي حديثها مع صوت الحياة يرن هاتفها ترى المتصل فهد ؟!

تجيب :

فهد : أهلا إيلي

إيلي : مرحبا

فهد : آسف أتصل في وقت كهذا

إيلي : لا بأس

فهد : هل يمكننا أن نتقابل غدا؟؟

إيلي : لماذا؟؟

فهد : علينا أن نتحدث .

إيلي : حسنا

يقطع الإتصال ...

صباح خريفي

إنه صباح خريفي بامتياز ، قطرات المطر على نافذة المطبخ و صوت سخان الماء يدفئ الجو ، تنزل إليي بهدوء على الدرج و على ضهرها شالها الرمادي المفضل تتجه إلى المطبخ بخطوات واضحة هزيلة ترتدي الكعب العالي لترفع قصر قامتها ، تمد يدها إلى الثلاجة ، يرن هاتفها و على شاشته كتب إسم فهد ، ترد و الكلمات مشوشة و تتعالى دقات قلبها ، بعد حديث دام خمسة و أربعين ثانية تكمل الإتصال تتجه إلى غرفتها ، تفتح خزانها لتجهز نفسها حتى تقابله .
توجهت إلى الموعد ، وصلت للمكان المعلوم جلست على طاولة لطالما جمعتهم ، وصل هو في الوقت المحدد كالعادة جلست على نفس الطاولة الهدوء يعم المكان ، ضجيج الأفكار مسيطر عليهما قررت أن تبدأ هيا
شبكت

يديها مع بعض و قالت بنبرة ترتعش :

ما الموضوع الذي تريدنا ان نتحدث فيه ؟

رد عليها بصراحة متعجرفة : لقد الفراق الحل الأنسب لنا

أغمضت عينيها خوفا من أن تغلبها دموعها و قالت :

كنت أعلم بعلاقتك مع ديلا .

يرد فهد :

ليس هذا هو السبب إيلي ، البرود برودي إتجاهك ، أنا آسف لقد حاولت أن أحبك لكن كانت كل الطرق باردة لذا أريدك أن تصدقيني لقد حاولت بمجهود لم أفعله من قبل .

ظل فهد يتحدث و إيلي تستمع لما يقول مركزة في كل كلمة تخرج من شفاهه ثم قاطعته بقولها :

إنك لا تعرف شعوري تماما لا تعرف شعور أنثى ترى هيئة أضلع رجل تحبه ، كنت دائما أشعر بأن هناك شيئا ناقصا في حياتنا ، لم تخبرني قط

أنك سعيد معي أو مطمئن ، كنت أصل إلى شعورك بكل سهولة اضطرت للعيش معه على امل ان يتغير في المستقبل ، أواجه صعوبة كبيرة لكن سأغلب على الحب .

يبقى فهد صامتا ينظر لكل كلمة قالتها إيلي و هو يعلم أنها محقة ختمت إيلي اللقاء مودعة فهد للأبد راجعة إلى منزلها الرمادي.

اليوم الثالث من شهر الرماد

تزور عهد إيلي في منزلها تستقبلها

بكل حب

عهد : مرحبا حبيبي

إيلي : أهلا عهد تفضلي

عهد : كيف أصبحتي بعد حديثنا تلك الليلة ؟

إيلي : بخير بعض الشيء

عهد : أخبريني هل من مستجدات ؟

إيلي : نعم قابلت فهد بالأمس .

عهد : كيف حصل هذا ؟ و من صاحب الفكرة ؟

إيلي : فهد لقد إتصل بي بعد حديثنا و أراد أن نتقابل فوافقت على

الموعد

عهد : أخبريني عن ماذا تحدثتما ؟

إيلي : لقد أخبرته بأنني أعلم بعلاقته مع ديلا

عهد : و ماذا أخبرك ؟

إيلي : قال لي ليس لعلاقتي بها سبب إنفصالنا بل برود العلاقة هي

سببه ، لقد كانت علاقة رمادية سطحية لم تزهر يوما

عهد : وهل أنت متأسفة عن هذا ؟

إيلي : بالطبع لا ، ما ضرني أنني كنت الضحية من كل الجهات

عهد : لا تقولي هذا أرجوك أنت فتاة خلوقة و هذا شرف لك ، لقد

حذرتك منه لأنه شخص سوداوي محب لذاته فقط
لم تجد إيلي ما تعبر به فكلام عهد حقيقي .

اليوم الرابع الرمادي

اليوم الرابع الرمادي، يأتي فيه الصباح محملاً بكل تفاصيل اليوم الجديد ، لدى إيلي عادة غريبة و هي أنها تشتم رائحة كل يوم يمر بها ، تتذكر فيه عاداتها القديمة مع فهد بطريقة مؤلمة تتحدث وهي صامتة و صوت كلام قلبها يملأ الأرجاء مسقطه نظرها على وردة صغيرة في نافذة غرفتها : يا ليت تملأ الضحكات أيامي كما يفعل الصمت ، يا ليت تغمرنني الكلمات الدافئة لتنطفئ حيرتي و إطمئنائي الباهت ، كيف سأكون هادئة في مرحلة الأيام القادمة ستكون سحقاً بطيئاً لخلايا دماغي .

تستعد إيلي لحرق جثة تفكيرها لعلها تتخلص من عذاب الذكرى لكن دون جدوى و كأن قلبها أصيب بتعويذة الحرق .

عند التاسعة إلا ربع ليلاً في مساء اليوم الرابع من شهر الرماد كانت إيلي جالست أمام التلفاز تشاهد مجريات أحداث فتاة ماتت إثر انفجار قلبها من قصة حب إنتهت بالخيانة ، إقشعر بدنها وهي غارقة في أفكارها قررت مغادرة مكان سكنها إلى بيت العائلة الكبير ، تحمل هاتفها تضغط على زر الرسائل ترسل رسالة إلى عهد :

عزيزتي الغالية أتألم الآن و أشعر بالندم الشديد ، كيف سمحت لنفسني أن تتعرض لكل تلك المساوئ ، كيف إنني فضلتهم عليها ، نبذتها لكي لكي أصل إليهم ، أتذكر الآن أنه كيف كان بإمكانني التصديق ان هذه الفئة من البشر تستطيع خداعنا بأنها تحبنا ، لقد كان فهد متمرد على

نفسى لأنه يملك الثقة بأني أحبه بشدة ، و إستطاع الجمع بين الحب
و الأذية ، كيف تقبلته حينها لا أدري ؟ إنني مسافرة يا عهد أتركك
في رعاية الله و إنتبهي لنفسك . أحبك
في الجهة المقابلة وصلت الرسالة إلى صاحبها لكن لم تقرأها فور
وصولها ظنا منها أنها رسالة عادية.

خامس يوم من شهر الرماد

خامس يوم من شهر الرماد ترتب إليّ حقايبها حاملة معها كل شيء
تحبه إلا ذكريات فهد التي أحرقتها مستغربة لما لم تجب عهد
على رسالتها .

تحمل قديمها متوجهة إلى الجديد ، في القطار تجلس عكس إتجاه
السير عيناها على أيامها الهاربة وجهها إلى الماضي و ضهرها إلى
المستقبل تبكي على قوانين الحب و هذا دليل محسوس على أنها
جرحت حقا .

تحمل عهد هاتفها حتى تطمئن على صديقتها تتفاجأ ؛ رسالة من إليّ
متى ؟

ترى التاريخ ، البارحة عند التاسعة تماما ، تفتح الرسالة تقرأ في صمت
بعد الإنتهاء تركض أصابعها مسرعة للضغط على زر الإتصال بها ،
تنتظر الإشارة بلهفة لكن الإتصال كان مقطوعا ، قررت بإرجاع
رسالة ردا على رسالتها : لمست شيئا من التفاؤل و أنا أقرأ كلمات
رسالتك سعيدة جدا بقدر حزني على رحيلك دون أن أراك ، قلبي
و روعي دائماً الدعاء لك ، أرجوك إذا شعرت بتحسن إرجعي في
أقرب وقت أنتظر عودتك حبيبتى الغالية .

أرسلت عهد الرسالة وهي مبتسمة بقطرات دموع تنزل على
وجنتها .

من بلدة أنفيل إلى بلدة أونيدا وبعد سفر دام ساعتين و نصف

هاهي إيلي تحط خطواتها الأولى بثبات تاركة زحمة الأفكار لأيام
الرماد هناك .

وصلت إلى المكان المنشود ، بيت العائلة الكبير ، أخذت قسط من
الراحة فتحت هاتفها وصلتها رسالة عهد فرحت جدا لما قرأته فيها
رتبت المنزل و تستعد لتمحي الرماد من حياتها مرت أيام و أيام
تمارس فيها إيلي طقوس تشعرها بالسعادة .

اليوم العشرون من شهر الرماد

في اليوم العشرون من شهر الرماد تستيقظ إليي كعادتها على صوت عصفور كان يتفنن في عزف ألحانه على أبواب نافذة غرفتها ، لمحت شيئاً مختلفاً في السماء ، الضباب الرمادي ها هو يفترق عن بعضه شيئاً فشيئاً ، فتحت درجا بجانب سريرها أخرجت دفتر يومياتها بدأت بالكتابة : من عروقي قلبي لك وحدك أيها الورق ، إليك من أنا ، أنا فتاة منذ الصغر تلقنت درسا بسيط و كان محتواه هوية قلبي زرع في نفسي إنتمائي الأصلي و نفحة الفخر أنني ابنة مختلفة لم أعي هذه المشاعر إلا عندما زاد عداد عمري بكبر عقلي ، حينها لم أفهم بعد مفاهيم الحب إلا عندما أحسسته ، توالى الأيام و كبر الشعور في قلبي بعد أن إستغلني غياب أحدهم ، لم يندم هذا القلب لوجه أبدا فقد كان عفيفا صادقا

حاولت مسح البعد من الحكاية ، حاربت وسط المشاكل ، وقفت في الساحة لي وحدي وكان من المفروض أن تكون ساحتنا ضد الدنيا ، كنت أجاهد حتى ضده للحفاظ عليه ، عن كل عيب فيه كنت عمياء و على كل كلمة أقفلت أذناي

رسمت فيه الشخص الذي كنت أتمناه ،

كافحت في الوقت الذي يتكافح عني ، تعبت لما المفروض ينتعب عني ، تاريخ في العقل و مدفون عند أعمق نقطة في الفكر .

لن أنسى يوم قيل للحلال حرام و السبب أبشع جريمة التخلي عن الكرامة .

قصتي طويلة ، تفاصيلها كثيرة ، نهايتها واضحة و كنت أخفي الحقيقة
تغيرت فيها الفصول إلى شهر واحد أمطر رمادا بعد ما فقد الحب عذريته .
إنه شهر أيامه متعجرفة تطلق قواها القتالية على روعي
تبزغ امامي السحب الباكية ، لكنني سأمضي سأقف مستمرة بلا تجهم أو بكاء أو ملامح
حزن فالأسى و الجزع لا ينفعان ، سوف يعتاد قلبي إلى أن يميل إلى الاعتدال ،
ستتحرك الأشياء في حياتي مثل السابق ، سأحقق أحلامي ، سأغمض عيني لأحلم بها و
أستيقظ فقط لكي أمشي إتجاهها .

و هكذا ختمت إيلي كلامها مع الورق.

اليوم الواحد و العشرون من شهر الرماد

في اليوم الموالي الواحد والعشرون من هذا الشهر الرمادي ، تزور الحياة في رحلة تفقد بيت إيلي :

الحياة : مرحبا إيلي كيف هيا أحوال روحك ؟ ، أ وجدت بئر العزيمة
أم ما زلت تصارعين ما بداخلك ؟

إيلي : مرحبا أيتها الحياة ، لقد كان الصراع سابقا ، ألا تعلمين ؟
منذ أيام أقيمت مذبحه لجندي تحت جفوني و صورت مشهدا لقلبه المنتحب بلباسه
الأسود

، وقفت على أطلالك و ودعت أفكار محملة بعبقه ،

لم يزرني في أفكاري بصورته المعتادة في البداية ، لقد محتها الذاكرة مني .

سأخبرك شيئا عزيزتي الحياة لطالما كنت أقول أنني منتشرة به فيك حد الهديان،

و الآن بت أمقت أي تفكير يرسله لي مع ذكراه المشينة

اعترف منذ زمن في تلك العينين أردت أن أدفن لكن الزمن خلق للنسيان

و بدأت نظرة الحب بالاختفاء .

آخر مرة سأنطق حروفي الضعيفة لن تقف أحلامي بسببه على حافة الطريق ، بل ستمضي

لتتحقق خالية منه .

الحياة : مهلا إيلي سأسألك و ستكون آخر مرة اوجه فيها لك هذا السؤال ، هل ينتابك

الشوق ؟

إيلي : سأجيبك لقد عدت طفلة صغيرة لا تهمها الأيام لي الأولوية الملكية في كل أحلامي

و لا دخل للمتطفلين فيها بعد الآن .

هكذا أجابت الحياة

تواصل إلي أيامها وهي تشفى شيئاً فشيئاً من الداء الذي أصاب وتين قلبها ، كبرت العزيمة في نفسها و أبدلت عبوسها بإبتسامة نرجسية.

اليوم الثاني و العشرون من شهر الرماد

اليوم الثاني و العشرون من أيلول ” شهر الرماد ” في وقت الغروب مع هدوء الموسيقى تجلس إيلي في ردهة منزلها تحمل دفتر يومياتها
أظن أنها عادت للكتابة وهذا ما سيشفى رمادها .
تكتب في تمام الساعة السادسة و النصف :
أنظر حولك ، قدس ما تمتلكه من أشياء بسيطة ، أترى النافذة إفتح بابها و أنظر إلى السماء
و كيفية جمالها حتى وهي رمادية ، أنظر لواقعك ، للطف الهواء و غدا في تمام الثانية عشر تدقق في مطالعتك في الشمس سترى كوكب الزهرة خلفها ،
وبعدها أنظر لداخلك كم من رسالة وعدت بها قلبك وما زالت مؤجلة ، يوجد حولنا الكثير و الكثير ورغم هذا عليك أن تقدس الأمور البسيطة .
أغلقت إيلي دفترها بعد هذا النص القصير
و قالت جملة في روح قلبها : أحيانا تكون الكتابة نصرا فلا أحد يعرف معنى أن تحمل قلما و توثق مشاعرك مع هزائمك .
أكملت ليلتها وهي تشاهد أحداث فلم أحب قصته و نامت على امل الغد أجمل ...

الصباح الأخير

في الصباح التالي إستيقظت وكعادتها ذهبت لتتفقد صندوق رسائلها وجدت رسالة من عهد فتحتها وكلها لهفة لما ستقرأه فيها ، وكانت البداية : عزيزتي إيلي إشتقت إليك ، أيا ترى تحميك تلك الدعوات التي أرسلها لك كل ليلة؟! كيف أصبحت و كيف هو حال قلبك؟؟

أن كنت بخير إرجعي فأنا حقا أشتاق لكل التفاصيل الحلوة معك هنا في أرض صداقتنا . قرأت إيلي رسالة عهد و فور إكمالها سعدت مسرعة إلى غرفتها فتحت خزانها وفي مدة قصيرة وضبت أمتعتها ، فتحت هاتفها أرسلت رسالة لعهد كان محتواها : أنا عائدة اليوم .

فور إستلامها قرأتها عهد فرحت فرحا لم تشهده من قبل و كأنها دخلت في رهان مع النسيمات الباردة .

وصلت إيلي محطة القطار المتجه إلى أنقيل بعدما قضت عطلة دامت خمسة عشرة يوما لم تتذكر فيها فهد ولو لثانية وهذا ما دفعها للعودة بعدما قرأت رسالة عهد ، تأكدت انها تستطيع التغلب على إحساسها هناك .

تمر ساعتين و نصف ، القطار يصل محطة إنقيل نزلت إيلي وكانت المفاجأة ، عهد تنتظرها هناك ، معانقة طويلة بعد بعد قصير وهاهو حلو الكلام يقام بينهما :

عهد : مرحبا بك في بلدتك

إيلي : يا حبيبتي إشتقت إليك

عهد : و أنا أيضا ، أخبريني أ ما زلت تتذكرين ماض كان مزهوا بالأسى؟

إيلي : بل أتذكر أنني تماديت في الطيش ، متوغلة دروب التمرد وذهني خاوي لا يحوي

غير بلاهة ، أين كنت من كل هذا السراب ؟

عهد : وهل حازرك سينسى هذا الماضي ؟

إيلي : سيكف عن هذا التذكار والوقوف على الأطلال فقد إندرثر ذاك الزمان .

عهد : كيف هدأتي قولي لي ؟

إيلي : أنا التي أردت أن أحيا من جديد لا الترددي في الهاوية

عهد : هذه أول خطواتك يا جميلتي واصلي .

إيلي : أنا مطمئنة فستأتي الأيام كلها وبين كفيها مباحج الحياة.

بعد تجربة إيلي للحب هاهو الرماد ينجلي تماما من حياتها بعد شهر كامل و بعزيمة منها
أدخلت ربيعا مزهرا لمستقبلها ، قررت في النهاية
أن تعيش الحب في فلم ، مقطوعة موسيقية ، لوحات جميلة ، و وردة حمراء

تمت بحمد الله